جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 04. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

جماليات المفارقة في القرآن الكريم وأبرز نماذجها

The Aesthetics of Paradox in the Qur'an and Its Prominent Examples.

عمار مسعي أحمد[1]

ahmedammar.mesai@univ-alger2.dz
Orcid ID : 0009-0001-5284-3793

تاريخ الاستلام: 2026/03/26 تاريخ النشر: 2026/09/15
Received: 26/03/2026 published: 15/09/2026

ملخص المقال :

يتناول المقال جماليات المفارقة في النص القرآني، كونه يزخر بالعديد من الظواهر الجمالية، والتي لها دور في الإعجاز القرآني، وفي ديمومة هذا الخطاب وبلاغته. فالمفارقة أسلوب جمالي يجمع بين أمرين متناقضين في الظاهر من أجل البعث على التأمل والتفكر بحسن النظم ودقة المعنى، حيث يهدف البحث إلى الكشف عن أسرار القرآن البيانية والجمالية، ويشمل البحث جانبا نظريا نعرف فيه بالمفارقة عند الغربيين وعند العرب، ثم نذكر أنواعها وأشكالها مع التمثيل، ثم نشفعه بجانب تطبيقي على النص القرآني، حيث أظهرت نتائج الدراسة أن البنية النسقية للنص القرآني متوازية ومتلائمة في أسلوب جمالي يعكس بنية نسقية مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل والتفاعل مـــع الدلالة، فهذه المفارقة، هي أساليب قرآنية، أرسى القرآن دعائمها صيانة للإنسانية، وهداية للبشرية، تلتقي في بنية منسجمة، تختلف عن التضاد أو عن التشاكل لتخلق لذّة جمالية مفاجئة ومثيرة للمستمع والمتلقي لذلك اخترنا أمثلة على أساس العناصر كثيرة الورود في القرآن الكريم.

كلمات مفتاحية: أسلوبية، المفارقة، النص القرآني، تضاد.

Abstract:

The article discusses the aesthetics of paradox in the Qur'anic text, as it is rich in many aesthetic phenomena, which play a role in the Qur'anic miracle, and in the continuity and eloquence of this discourse. Paradox is an aesthetic technique that combines two seemingly contradictory things in order to encourage contemplation and reflection on the beauty of the arrangement and the precision of the meaning. The research aims to reveal the rhetorical and aesthetic secrets of the Qur'an. The research includes a theoretical aspect in which we define paradox among Westerners and Arabs, then we mention its types and forms with examples, and then we follow it with an applied aspect on the Qur'anic text. The results of the study showed that the systematic structure of the Qur'anic text is parallel and harmonious in an aesthetic style that reflects a systematic structure whose parts are integrated in a context based on symmetry in form and interacting with meaning. This paradox is a Qur'anic technique, whose foundations were laid by the Qur'an to preserve humanity and guide mankind. It meets in a harmonious structure, and it diverges on contradiction or similarity to create a surprising and exciting aesthetic pleasure for the listener and recipient. Therefore, we chose examples based on the elements that are frequently mentioned in the Holy Qur'an.

Keywords: *Aesthetics; Paradox; The Qur'anic text; Examples or Models.*

(1) كلية اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر2 (الجزائر).

مقدمة:

يعد النص القرآني نسقا نصيا وبنية جمالية بلغ بالإبداع غايته، مما جعله يعجز فصحاء العرب ويتحداهم، لما يحفل به من جماليات، هذا الشيء بالذات دعا الباحثين إلى البحث في أسرار جماليات أسلوبه ونظامه اللغوي الذي تشكلت منها بناه النصية، فالمتأمل في النص القرآني يكون أمام بنية نصية ذات بعد دلالي وجمالي، يستوعب كل مفاهيم الدلالة والجمال ، وهذا الأمر يعطي لقارئ الخطاب القرآني دورا كبيرا في عملية إنتاج الدلالة واستكناه مكامن الإبداع والجمال، ما يجعل فضاءات النص أو آفاق الدلالة وجماليات الأسلوب غير محددة.

تعد المفارقة من الظواهر الأسلوبية التي توجد بكثرة في إبداعات الكتاب والأدباء، وهي أسلوب و قيمة جمالية يستخدمها الأدباء والمبدعون للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، تمتاز هذه الظاهرة الأسلوبية عن غيرها من الظواهر ذات القيمة الجمالية في النصوص الأدبية باستخدام أسلوب المراوغة، والجمع بين المتناقضات في أسلوب واحد، حيث أن ظاهرة المفارقة قديمة الاستعمال، فقد عرفها" أفلاطون" ووضع لها تعريفات وحدودا فقد ارتبطت بالأدب منذ القديم، والذي رآها أسلوبا مراوغا ناعما جميلا، وهناك من رآها أسلوبا متناقضا، وهناك من عدها لعبة لغوية، وهناك من عدها اقتراضا للمعاني.

ونميل إلى القول: أن المفارقة هي انحراف لغوي ببنية لغوية مراوغة بين طرفين متعددة الدلالات يستطيع القارئ تمييزها وفك شفرتها والوصول إلى القيمة الجمالية التي تحتوي عليها. فالمفارقة ليست ظاهرة بسيطة فهي تتطلب وعيا وثقافة كبيرة من المرسل والمتلقي عبر شفرة لغوية مبنية بإحكام. لا يتم الوصول إليها إلا من خلال التعارض والتناقض بين الحقائق داخل النص. وعليه نطرح الإشكال التالي: كيف تحولت المفارقة في النص القرآني من تناقض بين الظاهر والباطن إلى أداة تصويرية تؤثر في القارئ وتعيد إنتاج الدلالة؟ ومن أجل ذلك اعتمد المقال على المنهج الوصفي التحليلي ، المناسب لمثل هذه الدراسات.

ويأتي هذا المقال لتسليط الضوء على مكامن الإبداع الجمالي في النص القرآني عن طريق تطبيق بعض أدوات المنهج الأسلوبي على النص القرآني، لما تضمنه من ظواهر وقيم جمالية هامة في عملية التلقي وإنتاج الدلالة .

1 التعريف اللغوي والاصطلاحي للمفارقة

1.1 لغة:

جاء في لسان العرب: .الفَرْقُ: خلاف الجمع، فَرَقه يَفْرُقُه فَرْقاً وفَرَّقه، وقيل: فَرَقَ للصلاح فَرْقاً، وفَرَّق للإفساد تَفْريقاً، وانْفَرَقَ الشيء وتَفَرَّق وافْتَرَقَ.....الخ (ابن منظور، 1994، صفحة مادة فرق).

ويظهر من هذا التعريف اللغوي أن المفارقة هي خلاف الجمع، وهي الفرق بين الأشياء والاختلاف والتباين بينهما مما يعلهما من الأشياء المتناقضة، وهو الشيء الذي سيحاول المقال إثباته من خلال الضدية بين الشيئين مما يؤدي إلى الاختلاف والتفريق.

2.1 إصطلاحا:

عرفت في عصر أفلاطون باسم (ايرونا)...وتعني عند أرسطو : الاستخدام المراوغ للغة. ويعرفها صامويل جونسن: بأنها وسيلة من وسائل التعبير يناقض المعنى فيها الكلمات. وتعرفها نبيلة ابراهيم : بأنها تعبير لغوي بلاغي يرتكز على العلاقة الذهنية بين الألفاظ. (رنا

أحمد، 2017) حيث أن مصطلح المفارقة يعني في القديم كما هو واضح وجلي للدارس أنه مفهوم يتصف بالمراوغة، أو بأنه الأسلوب المراوغ، وهذا يتطلب من الدارس البحث في خصائص المفارقة ومكوناتها. (دي ميويك، 1993، صفحة 9)

يظهر من خلال ما ذكرناه أهمية المفارقة كأسلوب لغوي، له أهمية واضحة في سلطة الخطاب على المتلقي الذي يتأثر بهذا الخطاب الذي يستعمل اللغة كوسيلة في التأثير على المستمعين، واستمالتهم، وجعلهم يكتشفون جمال اللغة ويتمتعون بها، إنه أسلوب فائق الجمال ذو أبعاد دلالية يستعمل المراوغة عن طريق التناقض بين الدلالات.

2 . المفارقة في التراث العربي

1.2 أشكال المفارقة في التراث العربي:

لم يعرف العرب المفارقة بمفهومها الحديث، لكن عرفوا أشكالا أخرى مثل:

-الأضداد: وهي نوع من المشترك اللفظي. مثل : كلمة : "ناهل" تقال للعطشان والريان. ومثل كلمة : "السدفة" وهي في لغة تميم تعني: "الظلمة"، وفي لغة قيس تعني: "الضوء". (نبيلة إبراهيم، 1987، صفحة 140)

-التهكم: وهو الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار. والمدح في معرض الاستهزاء. (نبيلة إبراهيم، 1987، صفحة 140)

-التورية : وهو أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان ، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي وهو المراد، بقرينة ورّي عنها بالمعنى القريب مثل: الآية :﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ :.الأنعام الآية: 60. ويقصد بقوله تعالى: ما جرحتم بالنهار: الذنوب. (السيد أحمد ، 2014، صفحة 309)

-تجاهل العارف: وهو سؤال المتكلم لما يعلمه لنكتة وغاية. مثل : : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ سورة طه الآية: 17. وغايتها الايناس. (نبيلة إبراهيم، 1987، صفحة 140)

وهذا يعني أن العرب قديما عرفوا أشكالا من المفارقة، بل في كثير من الأحيان تتقاطع مع مفهوم المفارقة في الدراسات البلاغية والأسلوبية، وهو أسلوب يدل على مكامن الجمال في الخطاب اللغوي والأدبي، ويزيد من تماسك النص واندماجه مما يسمح للقارئ متلقي الخطاب الأدبي، أن يتذوق جمال النص الذي يستخدم هذه الأساليب، ويعيش المتعة الأدبية بكل تجلياتها وتصوراتها في الخطاب اللغوي. فالمفارقة اللفظية هي شكل من أشكال القول، يظهر في الشكل اللغوي الظاهر معنى يقصد منه معنى آخر غير الظاهر، إذا في حقيقة الأمر، الشكل السطحي الظاهر ليس هو المقصود في المعنى. (سيزا قاسم، 1982، صفحة 144)

ومن خلال عرض بعض المفاهيم اللغوية التي عرفها العرب قديما تظهر أشكال متعددة مثل: التهكم، والأضداد، والتورية، وتجاهل العارف، وهذه المصطلحات في حقيقتها تشير إلى مصطلح المفارقة الذي ظهر كمصطلح جديد، لذلك يمكن القول أنها لم تكن معروفة كمصطلح لفظي، أما مفهومها فقد كان متداولا من خلال هذه المصطلحات التي تم ذكرها وأمثلتها، وهذا يجعل تراثنا اللغوي والبلاغي غنيا بالمصطلحات المهمة للدارسين، يمكن استثماره في ميادين البحث المختلفة.

3 . المفارقة ثنائية ضدية وأداة أسلوبية

تسهم بنية التضاد في خلق النسق الأسلوبي داخل النص، لأنها تؤدي الى خلخلة البنية النمطية السائدة عبر كسر السياق وإحداث المفاجأة ، إذْ إن معدن المفاجأة ومولدها هو إحداث صدمة للقارئ، بتتابع جملة الموافقات بجملة المفارقات في نص الخطاب. **(بيار جيرو، 1994، صفحة 85)**. ولهذا كان لهذه الظاهرة الأسلوبية الدور الكبير في إحداث التأثير في المتلقي، لأن البنية النسقية للنص المتوازية والمتلائمة في أسلوب التقابل بنية نسقية مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل ومتفاعل مـــع الدلالة، فما تكاد تلتقي حتى تفترق على التضاد أو على التشاكل لتخلق لذّة جمالية مفاجئة ومثيرة وهي تنتقل من أسلوب نسقي الى آخر لتحدث في النفس قبضا وبسطا ، ولذة وهيبة وأنسا، خوفا ورجاء. **(حسين جمعة، 2005، صفحة 153)**.

وفي النص القرآني تتجلى تلك الظاهرة الأسلوبية بأبهى صورة وأجمل أداء، يعكس ذلك الإبداع الخلاّق اللامتناهي، إذّ تتلاحم بنية التضاد مع بنية الإيقاع في نسق واحد فتبرز جمالية الأسلوب أبهى وأجلَ ، ويكون التأثير أكثر فأكثر.

فالقارئ لسور القرآن الكريم يجدها مفعمة بالثنائيات الضدية بشكل واضح وجلي، وقد توزّعت على معظم آيات السور المباركة .

إن هذا التنوع في عرض الضدّيات جعل النص القرآني عموما يخضع لنسيج ثنائي مكون من صورتين يحكمهما عنصر التضاد الذي أضفى على النص حركة وحيوية، لأنه جعل المتلقي في حالة نفسية متوثبة تتماوج مع تموجات النص، وتتنقل بين ثنائياته في انقباض وانبساط، في شد وجذب وفرح وحزن، وهدم وبناء، تفضي نتائجه في استكناه العبر واختيار المصير.

وقد أسهمت هذه الثنائيات في تفعيل العلاقة بين النص القرآني والمتلقي عن طريق إحداث الرياضة العقلية، التي جعلت ذهن المتلقي يتحّرك بين تلك الصور المتضادة ودلالاتها، فضلا عن المسحة الجمالية التي تضفيها على النص عموما من خلال التناسق الصوتي والإيقاعي على المستوى الداخلي والخارجي لبنية التضاد الذي يطرب الأذن فتنفتح له أسارير النفس ، كل ذلك يحفّز المتلقي نحو الاستجابة للأثر الكلي للنص القرآني المبارك.

المفارقة في النص القرآني

شكل النص القرآني تحديا للعرب الأقحاح في بيئتهم البدوية، التي تجعلهم يتذوقون اللغة العربية بكل أساليبها قبضا وبسطا، ذما ومدحا، نثرا وشعرا، مما جعلهم من أفصح الأمم لغة، ومع ذلك كان القرآن لهم معجزا من حيث بلاغته واستعماله لأساليبهم التي يتفاعلون بها ويثيرونها في عقد ثنائيات ضدية بين العديد من المتناقضات، فنحن أمام نص ونسيج لغوي من لغة معروفة نظمت بطريقة محكمة لتجعل النص القرآني عبارة عن نسيج لغوي من مفردات وعبارات متداولة في البيئة العربية، جمعت بطريقة جعلت العرب يعجزون عن فك شفرتها والانبهار أمام نظمها المحكم.

وقد تجلت هذه القدرة الابداعية في نظم القرآن الكريم على مجموعة من الأشكال والطرق، فهي متناقضات–ظاهريا– شملت البنية اللغوية للنص القرآني سواء أكانت هذه البنية نغمية، أو دلالية، أو تشمل اللفظ الذي اشتملت عليه الآيات القرآنية، أو طريقة البناء لهذا النص، أو تلك الطريقة التي تشمل المفهوم أو التصور.

4–1–مفارقة النغمة: وتعني أداء المنطوق بنغمة تهكمية، يعول عليها في إظهار التعارض أو التضاد بين البنيات اللغوية، وهي نوع من التهكم وهي عبارة عن ذم يظهر في ثوب المدح مثل استعمال لفظ (فخامتكم) لمن لا يستحقها.

في النص القرآني نجد ذلك في: قوله– سبحانه ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ. ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ سورة الدخان الآية 47 وهو خطاب موجه "لأبي جهل" لأنه قال: ليس في مكة أحد أعز مني. وهو خطاب تهكمي

مقصود منه أنك : أنت الحقير الذليل، حيث وقعت المفارقة في علاقة تضاد دلالي وعدم ملاءمة بين آية المدح في الأخير وبين ما تقدم عنها في الآيات السابقة، حيث كسرت حاجز التوقعات. حيث تم تسخير التنغيم هنا لوظيفة خطابية تتمثل في أن نغمة فعل الأمر في (ذق) هي نغمة أمر في تأنيب وتهكم ينبغي أن تؤدى أداء مختلفا عن نغمة الأمر في (خذوه، فاعتلوه، صبوا) فهذه الأخيرة ترتبط بجزء من الخطاب وهي نغمات أمر بإنزال عقاب، ويلعب عنصر المفاجأة دوره هنا حيث انتقل من هذه الأفعال الثلاثة وهي ممدودة بالواو، وهو أثقل الحركات نطقا ليحكي وطأة الموقف، ثم الانتقال إلى (ذق) الخالي من هذا المد لإحداث المفارقة. (محمد العبد، 2006، الصفحات 41-48).

ويتضح من خلال التنغيم جمال المفارقة في هذا النص لإحداثها فرقا بين الأمر في جميع الصور التي ورد بها في هذا النص القرآني ليخلق صورة جمالية غاية في الدقة والرقي، حيث كسرت جميع التوقعات التي قد تطرأ على ذهن القارئ لتحدث فيه مفاجأة خارقة للعادة، وليبين للقارئ أن هذا الموقف ليس موقف استهزاء ولعب وتشدق، بل هو موقف يبعث على المفارقة والتأمل في معاني الآيات ليجعلها فريدة من نوعها.

4-2- المفارقة اللفظية: تعددت تعاريف المفارقة اللفظية، فهناك من يجعلها مصطلحا يدل على الانقلاب في المعنى. (دي ميويك، 1993، صفحة 32) في حين يرى غيرهم بأنها تكشف عن قوة العلاقة بين المفارقة والمجاز، فهي شكل من أشكال القول يراد فيه معنى ما، في حين يقصد معنى آخر. وهو موقوف على تغير مجال الاستعمال إلى الضد تهكما، أي تغير اللفظ من المجال الدلالي الأصلي، إلى حقل دلالي آخر مع لفظ آخر في علاقة تضاد أو تخالف أو انتقاد. مثال ذلك كلمة (البشرى) التي توضع للخبر السار لكنها في الخطاب المفارقي الخاص وضعت في تضاد معها في الدلالة مثل: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة:3 ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ التوبة: 34. ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الانشقاق 24. والأمثلة كثيرة، وما نلاحظه أن وضع لفظ البشرى مع العذاب يبين أنه لامجال للبشرى في مثل هذه الأشياء. وربما كانت لفظ (بشر) على سبيل المجاز اللغوي : وهو تسمية الشيء باسم ضده. (محمد العبد، 2006، الصفحات 48-59)

وتعتبر المفارقة اللفظية شكلا من أشكال القول تظهر فيه القوة للجانب اللفظي على أساس تغيره من جانب الاستعمال الى جانب التهكم مباشرة.

4-3-المفارقة البنائية: وهي التعبير عن الفكرة بلسان آخر، حيث أن النص القرآني حكى مواقف مختلفة بين الأنبياء وأقوامهم، فصار المؤلف مجهولا، فإذا كانت المفارقة اللفظية تقوم على معرفة موقف المتكلم-الذي يروي القرآن كلامه- ونيته الساخرة، فإن المفارقة البنائية تقوم على معرفة موقف المؤلف الساخر المجهول عند المتكلم، والمستنتج من طرف السامع، وهدف هذه المفارقة تدعيم البنية الدلالية في النص. ومن أشكاله في الخطاب القرآني أن يجعل متكلما آخر ينزل بغيره تهكما، فيصير هذا التهكم بذاته وقد انقلب إلى تهكم بالمتكلم الأول ذاته، وهو مفهوم لدى المتلقي. وغرضه في الحقيقية هو تسفيه المتكلم قال تعالى : ﴿ قالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ هود87. حيث نجد المفارقة في التضاد الظاهر في الآية الأخيرة وماقبلها. فالمتأمل في الاستفهام (أصلاتك تأمرك) الذي يعني التهكم والاستهزاء، لذلك حين يصفونه (إنك لأنت الحليم الرشيد) هم يخرجونه من هذه الصفة وهو أهل لها وغرضهم وصفه عليه السلام وحاشاه بالسفه والجهل، وأطمعهم بذلك حلمه ولين معاملته في التعريض به تكبرا وتمردا. فأصبح ما يتهكمون به وصفا لهم وهو الجهل والحمق (محمد العبد، 2006، الصفحات 103-109).

4-4-مفارقة المفهوم أو التصور: وتطلق على المعاني المجردة وهي عملية يقوم بها الفهم السطحي لإدراك المعاني، ويبنى التضاد في هذا النوع على أساس التعارض بين الضحية وفهمها للأشياء، وهو عادة فهم خاطئ ومثار انتقاد، فمثلا اذا رأينا الضحية تسلك مسلكا شنيعا

وهي تدعي أنها شخصية نبيلة، وتبنى المفارقة في هذا النوع على احتجاج الضحية احتجاجا جادا على غير حق، وتظهر المفارقة في الخطاب القرآني في هذا النوع على شكل: إخبار صريح، أو حكاية قول الضحية، أو استفهام تعجبي أو إنكاري، أو مقابلة بين قولين، ومن أمثلة ذلك (محمد العبد، 2006، الصفحات 120-125): ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الحجرات 17. فكلمة (يمنون) : وهي النعمة الثقيلة، تكمن المفارقة هنا في أنهم ردوا مردودها إلى الرسول الكريم، وهي راجعة لهم أن هداهم الله للإسلام.

وهي تتعلق بالفهم والتصور الذي يفهمه القارئ من سياق الآية فلا يظهر على مستوى اللفظ وإنما يظهر على مستوى المعنى والتصور، وهذا يحتاج إلى إعمال للفكر، فتظهر المفارقة واضحة جلية بين الفهم الذي يتصوره الضحية، وهو فهم خاطئ، من أنه صاحب خير أو أنه إنسان نبيل مثلا، وبين المعنى الذي قاس عليه نبله لأنه يظهره عكس ذلك تماما كما هو موضح في الآية الشريفة. حيث نسب الفضل لنفسه بأنه أسلم وأنه يمن على المسلمين إسلامه، وهذا مفهوم مرفوض، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب الفضل فالمنة لله ورسوله الذي هداهم للإسلام.

أمثلة عن المفارقة في القرآن الكريم

ومن جملة المفارقات في القرآن الكريم نجد الأمثلة التي تطرق إليها " محمد خير الدين رمضان" في كتابه " مفارقات القرآن" (محمد خير رمضان يوسف، 1441هـ، الصفحات 5-151) وقد اخترت منها النماذج التالية لكثرة ورودها في القرآن وتشاكلها في جميع أمثلته: مفارقة البياض والسواد، مفارقة الاستبشار والاشمئزاز، مفارقة الإكرام والإهانة، مفارقة العدو والصديق":

5-1-البياض والسواد : جعل البياض والسواد طرفي نقيض : وفي هذا المحور نجد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة حيث جعل بياضُ الوجهِ يومَ القيامةِ يدلُّ على الإيمانِ والفوز، وسوادهُ يدلُّ على الكفرِ والخسرانِ والعقاب. قالَ الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ آل عمران 106 .

أي: في يَومِ القيامةِ تَبيَضُّ وجوهُ أهلِ الإيمانِ والخَيرِ وتزداد وضوحا، وتُشرِقُ بالنور، وتَفِيضُ بالبهجةِ والسُّرور والمحبة، ووجوهُ أهلِ الكفرِ والنِّفاقِ تَسْوَدُّ كالِحةً وكئيبةً منَ الحُزنِ والهَمِّ والغَمِّ لما ينتابها من عسر المنظر. ويُقالُ للمُنافقينَ والمرتدِّينَ أهلِ الكفرِ والنِّفاق، الذينَ اسودَّتْ وجوهُهم: أكفرتُم بعدَ أنْ ذُقتُم حَلاوةَ الإيمانِ وعَرفتمُ الحقّ؟ إذاً فذُوقوا العَذابَ جزاءَ كفرِكم وتَفضيلِكمُ الباطلَ على الحقّ!. فهم في الدرك الأسفل من النار، سوداء وجوههم ترهقهم ذلة.

وفي هذا الباب نلاحظ أن المفارقة تقوم على التناقض الثنائي بين البياض والسواد، فالبياض يمثل الإيجابيات، والسواد يمثل السلبيات، ومن ثم كانت المفارقات في هذا الباب على هذا المنوال.

5-2-الاستبشار والاشمئزاز: إن الاستبشار والاشمئزاز على طرفي نقيض فالله سبحانه وتعالى يبشر المؤمنين، فبمَ يستبشرُ قلبُ المشرك، وبمَ ينقبض؟ قالَ الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ سورة الزمر: 45 .[أي: إذا ذُكِرَ اللهُ وحدَهُ دونَ آلِهةِ المشركين التي يجعلونها صنوا لله رب العالمين، فقيل: لا إلهَ إلاّ الله، انقَبَضَتْ ونَفِرَتْ قُلوبُ الذينَ لا يُؤمِنونَ بالمعاد، ولم تَقبَلْه، وإذا ذُكِرَتْ أصنامُهم وَحدَها، أو ذُكِرَتْ معَ الله، إذا هُم يَفرَحونَ ويُسَرُّون؛ لحبِّهم لها! . وهذا يجعلهم ينقبضون منها وتكون قلوبهم في شدة من ما يعتريها من الاشمئزاز والانقباض، فهذا هو المراد وهذه هي المفارقة التي ظهرت في الآية على طرفي نقيض بين الاشمئزاز والاستبشار، انقباض المشركين واشمئزازهم وفرح المؤمنين واستبشارهم .

وفي هذا الباب جاءت المفارقات في ثنائية ضدية بين البشارة والاشمئزاز، فالبشارة تمثل كل منفعة يمكن الحصول عليها، والاشمئزاز يكون من كل ما تعزف النفس من الحصول عليه، وقد تأتي البشارة مخالفة لما هو أصل لها لتحدث المفارقة، وتشد ذهن القارئ للتأمل والتفكر.

5-3-الإكرام والإهانة: تفكيرٌ خطأ: والكرم والإهانة لمن يمتلكها وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الأمثلة التي توضح صور الإكرام وطرق الإهانة، وهي في الحقيقة مفارقة جميلة فالله يكرم أهل المودة والإيمان ويذل أهل الشرك والأوثان، قال الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [سورة الفجر: 15]. ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [سورة الفجر: 16].

أي: إذا اختبَرَ اللهُ الإنسانَ بالغِنَى والعافية، وهي نعمة عظيمة ومنة جميلة لمن عرف قدرها وصرفها في وجوهها، فأكرَمَهُ بالمال، ونَعَّمَهُ بما وسَّعَ عليهِ مِن زينَةِ الدُّنيَا فهما في الحقيقة أهم متع الدنيا وأجلها، وجعلَ لهُ وَجاهَةً أو مَنصِبًا يعلوا به على نظرائه من بني قومه وأقرانه من بني البشر، اعتقد أنَّ ذلكَ إكرامٌ مِن اللهِ له. وليسَ كذلك، بلْ هوَ ابتِلاءٌ وامتِحانٌ منه، ليَنظُرَ هل يَشكرُ أمْ يَكفُر، وهل يَعدِلُ أمْ يَظلِم، وهل يُطيعُ اللهَ أمْ يَعصيه؟ وهذا من المفارقة الجميلة فالله يمتحن بني الإنسان بالخير والشر ليبلوهم ويمتحن إيمانهم.

وأمَّا إذا ضيَّقَ اللهُ على الإنسان في معيشته وامتحنه في هذه الدنيا ، فابتَلاهُ بالفَقر وهو فقد المال، اعتبر ذلكَ عُقوبَةً لهُ ومَهانَة، وأنَّ اللهَ لو لم يُرِدْ إهانتَهُ لَما ضيَّقَ عليهِ في رِزقِه! وإنَّما أرادَ امتِحانَه، ليَنظُرَ هل يَكونُ مؤمِنًا صابِرًا رَاضيًا بقَضاءِ الله، أمْ مُتضَجِّرًا جَزوعًا يائسًا، ضَعيفَ الإيمَانِ ساخِطًا؟ . لذلك نعد هذه المفارقة بين الغنى والفقر، فالله سبحانه وتعالى يمتحن قلوب عباده بالفقر وبالغنى، فالفقير إذا صبر نجح، والغني إذا شكر نجح، لذلك كان النص القرآني غنيا بهذه الأمثلة وهذا الجمال اللغوي منشأه المفارقة بين الإهانة والإكرام بالفقر وبالغنى.

والمفارقات في هذا الباب تقوم على التناقض بين قضية الإكرام والاهانة، حيث لا يدل الإكرام على التصور الشائع بين الناس أنه إكرام بالإيجابيات فقط، بل يكون الإكرام بأشياء يراها الناس تناقض الإكرام، كالابتلاء مثلا. وكذلك الإهانة بما يره الناس سلبيا، فكل ذلك يرجع إلى ما يريده الله من عباده من فضيلة، وما ينهاهم عنه من رذيلة، فالصبر فضيلة ولو بما يؤلم.

5-4-العدو والصديق: قالَ الله تعالى: اليهودَ والمشرِكين، ومن على شاكلتهم طالما ناصبوا أهل الاسلام والإيمان العداوة والبغضاء، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ سورة المائدة: 82 .

وتفسيرها: أن العداوة والصداقة بين أهل الإيمان عبارة عن صداقة وعداوة، وستَجِدُ أشدَّ النَّاسَ عداءً للمؤمنينَ اليهودَ والمشرِكين.

أمّا اليهود: فلعِنادهم وجُحودهم لآيات الله الواضحات التي يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، وتضاعُفِ كُفرِهم، واتّباعِهمُ الهوَى، وكذبِهم وافترائهم، وتمرُّدِهم على الحقّ، حتَّى قَتلوا الأنبياء، وهمُّوا بقتلِ رسولِنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلَّم غيرَ مرَّةٍ وسَحَروه، ووَضعوا في دِينهم توجيهاتٍ بإيذاءِ مَن يُخالِفُهم !. وأما المشرِكونَ فيُماثلونَهم في صِفاتٍ عدَّة منها معاداة أهل التوحيد والإيمان، وقد غلبَ عليهمُ التقليدُ فسَدُّوا منافذَ الفِكرِ والفِطرةِ في نفوسِهم، فلازَموا الكفر، وفتَنوا المؤمنينَ عن دينِهم، وحارَبوا الدِّينَ الحقَّ بكلِّ ما أُوتوا من قوَّة.

وستَجِدُ أقربَ الناسِ مَودَّةً للمؤمِنين – من بينِ مِلَلِ الكُفرِ — قوم من أهل الكتاب لهم معرفة باليهود وجحودهم وأهل الكفر ومللهم، الذينَ زَعَموا أنَّهم نصارَى مِن أتباعِ المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، وذلكَ لرأفةٍ في قلوبِهم ورِقَّة، وفيهم علماءُ ورُهبانٌ وعُبّادٌ يتَّصفونَ بالعلمِ والعِبادةِ والتواضُع، وهؤلاءِ قوم لا يَستكبرونَ عنِ الانقياد للحقِّ إذا عَرَفوهُ وفَهِموه فهم أقرب إلى الإيمان. ولعلَّ التعبيرَ للكثيرِ مِن هؤلاء، أو أكثرِهم. وهذه مفارقة مهمة ظاهرة جلية تزخر بها العديد من الآيات الواردة في النص القرآني ليجعل منه نصا فريدا مبدعا معجزا.

والمفارقات في هذا الباب ونظائره، تقوم على المفارقة بين العدو والصديق، فلا يتبادر إلى ذهن المتلقي أن الصديق يكون فقط من بني جنسه، أو من شيعته أو من جنسه، فالصديق في هذه القضية، هو كل من كان على منهج الله مصدقا ومؤمنا به ولو من الأديان الأخرى، والعدو هو عدو المنهج، لذلك كانت المفارقة تقوم على أشياء تخالف المفهوم المتصور.

ويعتبر القرآن الكريم مصدرا مهما في إنتاج الدلالة وفي توليد المعاني، ونصا غنيا بالمفارقات اللغوية بكل أنواعها حيث تجلت تلك الصور في ثنائيات ضدية شكلت مظهرا إبداعيا مهما في الدراسات القرآنية، فقد جاءت هذه المفارقات الضدية لإبراز التناقض بين الطرفين المتقابلين ليحمل هذا التناقض في رصيده بعدا فنيا ونفسيا، من شأنه أن تنعكس هذه المتناقضات بعضها على بعض فتزداد قوة في التأثير، وعمقا في الوجدان، وجاء النص القرآني يحمل في طياته خطابات متباينة، يحدث تضادا بين النصوص المتعالقة فيما بينها هذا من جهة، وتكاملا في نصوص أخرى من جهة أخرى، مما يجعله نصا مبدعا وجماليا بامتياز، ويزيد من قدرة القارئ على تذوق اللغة الجمالية في أرقى تجلياتها في نسق متضام ومترابط.

خاتمة:

ونخلص في الأخير إلى القول أن المفارقة ظاهرة أسلوبية تساهم في إظهار جمال النص القرآني وبلاغته، ولا تعني التناقض في كلام الله، أو العي في البلاغة، وإنما هي أسلوب جمالي يعتمد على عرض قضيتين بأسلوب وتقنية عالية جدا، حيث تظهر الثنائيات الضدية في القرآن الكريم، بشكل واضح تساهم في تماسك النص القرآني وحسن نظمه. ولقد تبوأت المفارقة منزلة مهمة في الدراسات الغربية والعربية الحديثة، وذلك لتنامي دورها في إبراز الوجود الجمالي والدلالي في النصوص الأدبية وفي القرآن الكريم، لذا اعتنى بهذه الظاهرة الدارسون من وجوه عديدة.

*المفارقة انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع للتصرف وفق وعيه بحجم المفارقة.

* تسهم المفارقة كأسلوب جمالي في عرض قضيتين متعادلتين، أو وجهتي رأي متعارضتين متضادتين، وتبرزهما بشكل جمالي عن طريق التضاد فكلما زاد التضاد واشتد زادت المفارقة جمالا ووضوحا. وهذا يجعلها من الأساليب العالية التي لا يتمكن منها إلا من أوتي تمكنا من علم البلاغة وتظلعا في علوم اللغة والبيان.

*المفارقة القرآنية تتجلى في القرآن الكريم بأساليب متنوعة، وهذا يجعلها أسلوبا فريدا يجعل المتلقي للخطاب القرآني يعمل فكره في تأمل وتدبر، وذلك من أجل تمييز المعنى وتوضيحه، حيث تعد أسلوبا مهما من أساليب توليد الدلالة وإنتاج المعنى وفق قرائن لغوية وسياقات دلالية.

* تنوعت مظاهر المفارقة في القرآن الكريم إلى أنواع عديدة منها: المفارقة اللفظية، والنغمية، والبنائية، ومفارقة المفهوم والتصور، وإلى مفارقات عديدة، كلها ساهمت في بناء النسيج العام للنص، حيث كان لكل نوع سيمات تميزه عن النوع الآخر.

*توصيات ومقترحات:

تصل هذه الدراسة إلى نتيجة هامة وهي أن المفارقة هي أسلوب جمالي من أساليب البلاغة العربية ، حظيت بالدراسة في التراث العربي القديم ولم تهملها الدراسات اللغوية الحديثة وهي الاستخدام المراوغ للغة في أسلوب جميل يبعث القارئ على التأمل في الآيات ويبعث في النفس حب استقصاء المعلومة واستجلاء كنهها ودلالاتها، إلا أنه بالرغم من كثرة الدراسات البلاغية والأسلوبية المعاصرة منها والتراثية على حد سواء، التي تناولَتْ النص القرآني الكريم وما فيه من أوجه الجمال والتميز وما فيه من الإعجاز البلاغي واللغوي، إلا أن بحور النص القرآني

الكامنة تنتظر دراسات كثيرة جادة ودقيقة وتحتاج إلى من يغوص إلى أعماق بحارها و يكسر صدفاتها ليتلألأ له جمال إبداعها، ويظهر ويبين للقارئ جمال أسراره الدفينة ويفتح للمثقف والأديب والعالم خزائنها لتبوح له بعظمة بيانها، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على عظمة النص القرآني وجماليته في لفظه ونظمه، وقوة بيان القرآن اللغوية والفنية، ليجعل منه نصا مبدعا ومعجزا متعدد القراءة، غير متقيد بقيود الزمان وحدود المكان.

وتقترح الدراسة أن تخصص وحدات ومقاييس تدرس المفارقة في القرآن الكريم كأسلوب جمالي يستعمله الدعاة والخطباء واللغويون في تحقيق المعلومات وتقريب مفاهيمها.

وتقترح الدراسة أيضا توجيه البحوث العلمية إلى التأمل في النص القرآني وكنوزه اللغوية واستثمارها في المنجزات اللغوية والبلاغية والدلالية.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع

(1)ابن منظور. (1994). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

(2)عبد الحليم رنا أحمد. (2017). المفارقة الدرامية في سورة يوسف عليه السلام. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، صفحة 132.

(3)دي ميويك. (1993). *المفارقة وصفاتها ترجمة عبد الواحد لؤلؤة*. الأردن: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.ص9.

(4)نبيلة إبراهيم. (1987). المفارقة. *مجلة فصول*، صفحة 140.

(5)نبيلة إبراهيم. (1987). المرجع نفسه، صفحة 140.

(6)الهاشمي السيد أحمد . (2014). *جواهر البلاغة*. القاهرة: دار الغد الجديد.ص309

(7)نبيلة إبراهيم. (1987). المرجع نفسه، صفحة 140.

(8)سيزا قاسم. (1982). *المفارقة في القص العربي المعاصر*. مجلة فصول ، المجلد2، العدد2.ض140

(9)بيار جيرو. (1994). *الأسلوب والأسلوبية* (المجلد 2). (منذر عياشي، المترجمون) دار الحاسوب للطباعة.ص85

(10) حسين جمعة. (2005). *التقابل الجمالي في النص القرآني: دراسة جمالية فكرية وأسلوبية*. دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع.ص153.

(11)محمد العبد. (2006). *المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة* (المجلد 2). القاهرة: مكتبة الأدب.ص41-48.

(12) دي ميويك. (1993). *المفارقة وصفاتها ترجمة عبد الواحد لؤلؤة*. المرجع السابق، ص32

(13)محمد العبد. (2006). *المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة*، المرجع السابق.ص41-48.

(14)محمد العبد. (2006). *المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة*، المرجع السابق.ص103-109.

(15)محمد العبد. (2006). *المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة*، المرجع السابق.ص120-125.

(16)محمد خير رمضان يوسف. (1441هـ). *مفارقات القرآن: مقارناته ومقابلاته وموازناته: تفسير موضوعي*. استانبول.ص5-151

References :

(1Ibn manẓūr. (1994). Lisān al-‘Arab. Bayrūt : Dār Ṣādir.

(2)‘Abd al-Ḥalīm Ranā Aḥmad. (2017). al-Mufāraqah al-dirāmīyah fī Sūrat Yūsuf ‘alayhi al-Salām. Majallat al-‘Ulūm alā’nsānyh wa-al-Ijtimā‘īyah, ṣafḥah 132.

(3) Dī mywyk. (1993). al-Mufāraqah wṣfāthā tarjamat ‘Abd al-Wāḥid Lu’lu’ah. al-Urdun : al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘. ṣ9.

(4) Nabīlah Ibrāhīm. (1987). al-Mufāraqah. Majallat fuṣūl, ṣafḥah 140.
(5) Nabīlah Ibrāhīm. (1987). al-Marji‘ nafsih, ṣafḥah 140.
(6) al-Hāshimī al-Sayyid Aḥmad. (2014). Jawāhir al-balāghah. al-Qāhirah : Dār al-Ghad al-jadīd. ṣ309
(7) Nabīlah Ibrāhīm. (1987). al-Marji‘ nafsih, ṣafḥah 140.
(8) Sīzā Qāsim. (1982). al-Mufāraqah fī al-qaṣṣ al-‘Arabī al-mu‘āṣir. Majallat fuṣūl, almjld2, al‘dd2. ḍ140
(9) Bayār jyrw. (1994). al-uslūb wa-al-uslūbīyah (al-mujallad 2). (Mundhir ‘Ayyāshī, al-Mutarjimūn) Dār al-Ḥāsūb lil-Ṭibā‘ah. ṣ85
(10) Ḥusayn Jum‘ah. (2005). al-Taqābul al-jamālī fī al-naṣṣ al-Qur’ānī : dirāsah jamālīyah fikrīyah wa-uslūbīyah. Dār al-Numayr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘. ṣ153.
(11) Muḥammad al-‘Abd. (2006). al-Mufāraqah al-Qur’ānīyah : dirāsah fī Binyat al-dalālah (al-mujallad 2). al-Qāhirah : Maktabat al-adab. ṣ41-48.
(12) Dī mywyk. (1993). al-Mufāraqah wṣfāthā tarjamat ‘Abd al-Wāḥid Lu’lu’ah. al-Marji‘ al-sābiq, ṣ32
(13) Muḥammad al-‘Abd. (2006). al-Mufāraqah al-Qur’ānīyah : dirāsah fī Binyat al-dalālah, al-Marji‘ al-sābiq. ṣ41-48.
(14) Muḥammad al-‘Abd. (2006). al-Mufāraqah al-Qur’ānīyah : dirāsah fī Binyat al-dalālah, al-Marji‘ al-sābiq. ṣ103-109.
(15) Muḥammad al-‘Abd. (2006). al-Mufāraqah al-Qur’ānīyah : dirāsah fī Binyat al-dalālah, al-Marji‘ al-sābiq. ṣ120-125.
(16) Muḥammad Khayr Ramaḍān Yūsuf. (1441h). mufāraqāt al-Qur’ān : mqārnāth wmqāblāth wmwāznāth : tafsīr mawḍū‘ī. Istānbūl. ṣ5-151